

الذي لا يخفي على الحكومة المصرية ان بريطانيا تريد ارضاء المطامع الصهيونية، لذا كان تذرعها بالقوانين التي تربط مصر بالباب العالي خطوة موفقة. ولكي لا تصطدم مع الحكومة البريطانية تركت الباب موارباً، حتى لا تتهم بمعاداة اليهود. وكانت أول مواجهة للاطماع الصهيونية ومشروع هرتسل في استعمار سيناء والعريش ما جاء في خطاب ناظر الخارجية، بطرس غالي باشا، الى المندوب غرينبرغ. ولا شك - كما أشار أمين ابراهيم غالي - في انه وضع بالاتفاق مع اللورد كرومر بعد مناقشات طويلة معه. وجاء في الخطاب الذي أرسل من القاهرة في ٢٢/٢/١٩٠٣، وفي اثناء وجود البعثة (اللجنة) التي أرسلها هرتسل لمسح سيناء والعريش، ما يلي:

«ان حكومة حضرة صاحب السمو الخديوي أخذت علماً باقتراحاتكم بشأن الحصول على امتياز لانشاء شركة تقوم باستيطان اليهود في شبه جزيرة سيناء. الا ان الحكومة المصرية لا تستطيع، وفقاً للفرمانات الشاهانية، لأي سبب أو مبرر، التنازل عن جزء، أو كل، من الحقوق المتعلقة بالسيادة. ولذا، يجب ان تستبعد، بصفة قاطعة، كل فكرة ترمي الى الحصول على اتفاقيات من هذا النوع.

«ومع ذلك، فاذا تكوّنت شركة وفقاً للقوانين المصرية لاستغلال اراضٍ في سيناء، فلا ترى الحكومة المصرية مانعاً من عرض الامر على مجلس الوزراء، على أساس المبادئ الآتية، التي يجب اعتبارها ثابتة لا نزاع فيها:

«يشترط في الوافدين ان يكونوا من رعاية الدولة العلية؛ وان يقرر كل منهم ذلك كتابة، وان يقبل اختصاص المحاكم الاهلية والسلطات الادارية المصرية المطلعة في جميع المسائل؛ ويجب ان تفرق بهذا الاقرار شهادة من السلطات المختصة الوافد منها المهاجر، تقر فيه ان اكتسابه الجنسية العثمانية قانوني، وانها لن تطالب بأي حق من حقوق الحماية، وان تكون الاراضي المزمع استغلالها خاضعة للقوانين واللوائح المعمول بها في مصر، علماً بأنه ستراعى، في تطبيق الاحوال الشخصية، الشروط الخاضعة لها الملل غير الاسلامية، ويجب ان تعترف الحكومة المصرية بالسلطات الدينية».

ونلاحظ، هنا، ان الخارجية المصرية احتمت بالقوانين، وهدمت كل محاولة عنصرية، أو دينية، قد تخلق صعوبات أمامها. وقد اهتم هرتسل بما قدّمه بطرس غالي وضمّن معظمه في مشروع الامتياز، لكنه كان ثانوياً؛ اذ ان المشروع كان يجرد مصر من بعض سلطاتها، وهدفه غير المعلن اقامة دولة لليهود في سيناء والعريش. وفي اليوم عينه (٢٢/٢/١٩٠٣) الذي أرسل فيه بطرس غالي خطابه الى مندوب هرتسل، أرسل اللورد كرومر صورة من الخطاب الى حكومته<sup>(٤٠)</sup>.

### هرتسل في القاهرة

قرّر هرتسل الذهاب الى القاهرة لمقابلة كرومر ويطرس غالي والمسؤولين في الحكومة المصرية لترتيب الامور، وغادر في ١٨ آذار (مارس) ١٩٠٣ فيينا الى ميناء ترييستا على متن السفينة «سمير اميس»، فوصل ميناء الاسكندرية في ٢٣ آذار (مارس)، ثم ذهب الى القاهرة ليقوم في فندق شبرد، وكان ترك عنوانه لاصدقائه قبل ان يغادر: «القاهرة، فندق شبرد».

وجاء انطباعه الاول عن مصر في ما كتبه لـ «الجريدة الحرة الجديدة» حيث صدّر كلماته بالعبارة اليونانية التي اقتبسها فون بيلو من الشاعر بندار: «الماء أحسن شيء... ان مصر تقع بين حلمين: الاول هو الذهاب اليها، والثاني هو العودة منها». وخففت رؤيته لمياه النيل من جفاف صمته<sup>(٤١)</sup>؛ لكن لقاءه مع اللورد كرومر بعد يومين من وصوله أيقظه من عالم الشعر والخيال، ليعود الى